﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الجاثية: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

ثمَّ بيَّن العذاب الّذي يكون لهم يوم القيامة؛ فقال تعالى ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ الآيةَ[1].

العـذاب لاحق لـلأفّـاك الأثيـم وإن تـأخّـر عنه إلى يوم القيامة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَرَآئِهِمْ﴾: الوراءَ اسم للجهة التي يواريها الشّخص من خلف أو من قدّام[2]، قالَ الزَّجّاجُ: وراءُ يكون خَلْفَ وأمامَ، ومَعْناها ما تَوارَى عَنْك أي: ما اسْتَتَر عَنْك[3]، وقالَ ثَعْلَبٌ: الوَراءُ: الخَلْفُ، ولَكِن إذا كانَ مِمّا تَمُرُّ عَلَيْهِ فَهوَ قُدّام[4]، وذهب ابن عاشور إلى أن الوَراء في قولِه تعالى﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ مُستعمَلٌ في معنى ما ينتظرُه ويَحِلُّ به من بَعْدُ، والمراد به تحقيقُ حُصولِ العذاب وكونه قريبًا منهم[5].

2) ﴿دُونِ﴾:أصلُ (دون) يدلُّ على كَوْن الشيء منخفضًا في أسفل شي، كما يقال للقاصر عن الشّيء: دون، وكلُّ ما لا يبلغ منزلة شيءٍ فهو دونه، أي: أقلُّ منه، ومنه ثوبٌ دونٌ: رَديء، وإنّما دلَّ(دون) على المقاربة والمداناة فيُقالُ هذا دونَ ذاكَ، أي: هو أقرَبُ منه[6] لأنَّ القرب من جهة سفلٍ، ويُقالُ: دونُك زَيدٌ في المنزلة والقُرْبِ والبُعْدِ[7]، والمقصود بـ ﴿دُونِ﴾ في الآية: كلُّ ما هو أقلُّ رتبة من اللّه العليِّ الواحد الأحد، بمعنى أنَّ كلَّ ما سوى اللّه دونه.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 265، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 71.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 287.
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (ورأ).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ورأ).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 210، و25/ 333.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دون).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دون).

3) ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أصلُ (ولي) يدُلُّ على قُرْبٍ، من ذلك الوَلْيُ: القُرْبُ، يُقالُ: تباعد بعد ولْيٍ، أيْ: قُرْبٍ، وجلسَ ممّا يليني، أي يُقاربُني، ويُقال: "كُلْ مِمّا يَليكَ"، أي ممّا يُقاربك[1]، والوَلِيُّ: المَطَرُ يجيءُ بعد الوَسْمِيِّ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يلي الوَسْمِيَّ[2]، فالولِيُّ: الشَّيء القريب التّالي دون فاصل مادِّيٍّ أو زمانيٍّ، فهو ليس التصاقًا[3]، قالَ ابنُ الأثير: وكأنَّ الولاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل، وما لَم يجتمع ذلك فيها لم يَنطلق عليهِ اسمُ الوالي[4]، والمراد بالوَلِيِّ في الآية: النّاصرُ والكافي.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فِقدانُ الفِداءِ والوَلِيِّ يومَ القيامة يَزيدُ العذابَ شِدَّةً، ويُكسِبُ المُعاقَبَ إهانةً

يُبيِّن اللّهُ تعالى مصيرَ هؤلاء الكفار في الآخرةِ ويَتوعَّدُهم، فيقول: ومن وراء ما هم فيه من التَّعزُّز بالدُّنيا والتَّكبُّر جهنَّم، والمراد أنَّها من قدامهم؛ لأنَّهم مُتوجِّهون إليها، ولا يَدفَعُ عن هؤلاء الكُفّار عذابَ جَهنَّمَ أيُّ شَيءٍ - ولو قليلًا - ممّا كَسَبوه في الدُّنيا مِن الأموالِ أو الأولادِ، ولا يَدفَعُ عنهم آلهتُهم الَّتي عَبَدوها في الدُّنيا مِن دونِ اللّه، أو رُؤساؤُهم الَّذين أطاعوهم في الكُفرِ باللّه، ولهم عَذابٌ كبيرٌ شَديدٌ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الفصل في الآية:

بيانُ العذابِ للأفّاكين المستهزئين

جاءت جملة ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّه في مقام البيان والتّفسير لقولِه: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وفائدة البيان

(1) الجوهري، الصحاح: (ولي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ولي).
(4) ابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (ولي).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 77، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 159، والمراغي، تفسير القرآن: 25/ 145.

هي الإخبار عن وقوع العذاب لهم يوم القيامة والإيذان بأنَّهم غافلون عنه.

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

تحقُّق معاناتهم عذاب جهنّم

قدِّمَ المسند ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ على المسند إليه ﴿جَهَنَّمُ﴾ للاهتمام والعناية بالمقدَّم، ففيه تنبيه لهم بأنَّ جهنَّم تنتظرهم وهي قريبة منهم، وفي التّقديم كذلك تحقيق لحصول العذاب لهم.

بلاغة الاستعارة بين المكنيَّة والتّمثيليَّة:

من بلاغة القرآن توسّع المعاني وتكثيرها مع سلامة النّظم وحسن تأليفِه

لمّا كان الوراء من معاني الأضداد؛ لأنَّه اسم للجهة التي يواريها الشّخص[1] كان قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى من قدّامِهم؛ لأنَّهم لمّا كانوا متوجّهين إلى جهنَّم صارت قدّامهم، فالمتوجّه إلى شيءٍ إنّما يتوجّه إلى ما هو قدّامه، فشبِّه توجّههم إلى جهنَّم بالمتوجّه إلى أمرٍ مقصودٍ قدّامه، ثمَّ حذف المشبَّه به وذكر المشبَّه وشيءٌ من لوازمِ المشبَّه به وهو الوراء بمعنى قدّام؛ ليكون الكلام على طريق الاستعارة المكنيَّة، ويحتمل أن يكون الوراء بمعنى الخلف، ويكون الكلام على الاستعارة أيضًا، والمعنى ومن خلفِهم جهنَّم، بمعنى بعدَ آجالِهم جهنَّم، فالخلف هنا بمعنى بعدَ الشّيءِ؛ لأنَّ ما بعد الشّيء في الزّمان هو وراءه وخلفه، ولمّا كان حصولهم في جهنَّم يتحقّق بعد انقضاء آجالِهم جعلت كأنَّها خلفَهم[2]، أو يكون المعنى: إنَّ جهنَّم وإحراقها لهم يأتي بعد كفرهم وأفعالهم[3]، ففيه معنى التّهديد، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ على طريق الاستعارة التّمثيليَّة لتحقيق حصول جهنَّم لهم وكونها قريبةً منهم معرضين عن الالتفات إليها والاشتغال عمّا ينجيهم

(1) أبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 13/ 350، والزّمخشري، الكشاف: 4/ 287.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 418 - 419.
(3) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 5/ 81.

منها مقبلون على الدّنيا والانهماك في شهواتها[1]، فهم غافلون عن اقترابِها مثل غفلة المرء من عدوٍّ يتبعه من ورائِه ليأخذه فإذا نظر إلى أمامِه لم يجد شيئًا فحسب نفسه آمنًا، ففي الوراء استعارة تمثيليَّة لاقترابِهم من جهنَّم وغفلتِهم عنها وأنَّها ستباغتهم من حيث لا ينفع النّدم[2] معرضون عن الالتفات إليها والاشتغال عما ينجيهم منها مقبلون على الدنيا والانهماك في شهواتها، ويمكن أن يقال: إنَّ التّعبير بقولِه: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ يفيد ملاحقتَها لهم ليكون كناية عن عدم فرارِهم منها وأنَّها ستأتي عليهم وإن تأخّر الوقت، ولهذا جاءت الجملة بصيغة الجملة الاسميَّة الدّالّة على الثّبوت، فلحاق النّار بهم ثابت لا مفرَّ منه، والنّار خلفهم كيفما ذهبوا وكيفما تحرّكوا، ويتبعُ الكلامَ غرضٌ آخرُ هو التّهديد والوعيد، فمن يسمع هذا الكلام يتملّكه الخوفُ الشّديدُ، عسى أن يتّعظ ويرتدع عن الكفر والضّلال.

فائدة ﴿مِّن﴾:

بداية الغفلة عن الله وآياته هي بداية السّير إلى العذاب

﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ ابتدائيَّة، تفيد أنَّ حصول عذاب جهنَّم لهم يبتدئ من وقت توجّههم إليها، أو من وقت انقضاء آجالِهم، أو يكون من وقت غفلتِهم عنها، فالمعنى على حسب احتمالات الاستعارة المتقدِّمة.

الغرض من الإضافة في ﴿وَرَآئِهِمْ﴾:

الإضافة في قولِه: ﴿وَرَآئِهِمْ﴾ على معنى الاختصاص، أي: اختصاص عذاب جهنّم بهم، بمعنى: (مِن وراء هؤلاء الّذين أوعدهمُ اللّه بالعذابِ المهينِ جهنَّمُ).

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 333.

إيثار التّعبير بـ ﴿جَهَنَّمُ﴾:

الإشعار بشدّة النّار وبعد قعرها

لمّا كان لفظ ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدلُّ على بعدِ القعرِ أوثر التّعبير بلفظ ﴿جَهَنَّمُ﴾ إشعارًا بعظم العذاب وشدّته ونزولِهم في قعر النّار.

مناسبة الوصل في قولِه: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم﴾:

اجتماع العذاب النّفسيّ والجسديّ على الأفّاكين

لمّا كان نفي الإغناء عنهم يوم القيامة بمعنى فَقْدِ ما كسبوا ممّا كانوا يتوهّمون غناهم به من المال والجاه والولد عن العذاب، وكان هذا نوعًا من العذاب المهين[1] لأنَّه يدلُّ على الذِّلّة والمهانة، عطف قوله: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ على ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ من باب عطف العذاب النّفسيّ على العذاب الجسديّ؛ ليفيد اجتماع صنوف العذاب على الأفّاكين المستهزئين يوم القيامة.

دلالة حرف النّفي (لا):

الأفّاكون يوم القيامة يكونون في حال الّذي سقط في يديه ندامة وحسرة

عبّر بـ(لا) الّتي تفيد نفي المستقبل بقرينة السّياق للدّلالة على نفي أن يغني عنهم يوم القيامة ما كسبوا في الدّنيا ولمّا كانت صيغة النّفي بـ(لا يفعل) تقال في نفي (ليفعلَنَّ)[2] على سبيل التّأكيد والتّحقيق، أي لنفي ما هو مؤكَّد عند الآخر أفاد أنَّ التّعبير بـ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ دالٌّ على أنَّهم كانوا بمثابة المتأكّدين من أنَّ ما كسبوه يغني عنهم كلَّ شيءٍ فيه ضرٌّ أو أذى، فكأنَّهم في قرارةِ أنفسِهم كانوا يقولون ليغنيَنَّ عنّا ما كسبنا، فجاء قولِه: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ في معرضِ الرّدِّ على ماتوهّموه من يقينهم في الإغناء، وللإشعار بأنَّهم سقط في أيديهم ندامةً وحسرةً على ما فاتهم.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿يُغْنِي﴾، وتعديته بـ(عن):

نفي كفاية ماتوهموا أنّه يغنيهم عن العذاب

عبّر بلفظ تغني لِما يدلُّ عليه الفعل من معنى الكفاية، ولمّا تعدّى الفعل بـــ (عن) ضمّن معنى آخر هو الدّفع، وعبّر بـــ ﴿وَلَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 333.
(2) سيبويه، الكتاب: 3/ 117، والسامرائي، معاني النّحو: 4/ 215.

﴿يُغۡنِي﴾ دون لا يكفي أو لايدفع لتقرير جهلِهم في تيقّنهم أنَّ ما كسبوه سينفعهم ويدفع عنهم الضّرَّ فلمّا قال: ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ أفاد الرّدّ على ما توهّموه من اليقين في الإغناء، كما أنَّ في نفي إغناء ما توهّموا أنَّه يغنيهم إيماءً إلى أنَّهم سيندمون حين لا ينفع النّدم، ففيه معنى التّنديم والتّبكيت، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾ [آل عمران: 10].

دلالة ﴿مَّا﴾ في ﴿مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾ و﴿مَا ٱتَّخَذُواْ﴾:

لايغني أيُّ مالٍ وولد عن الكافرين يوم القيامة كما لا يغني أيُّ وليٍّ اتّخذوه في الدّنيا

(ما) في الموضعين في قولِه: ﴿مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾ و﴿مَا ٱتَّخَذُواْ﴾ اسم موصول بمعنى الّذي[1]، وعبّر بـ(ما) لما يفيده اللّفظ من معنى العموم، بقرينة حذف العائد في ﴿كَسَبُواْ﴾ و﴿ٱتَّخَذُواْ﴾، والتّقدير: ما كسبوه وما اتّخذوه، فيشمل كلَّ شيءٍ كسبوه، فيدخل فيه الأموال والأولاد دخولًا أوّليًّا كما يشمل كلَّ شيء اتّخذوه من دون اللّه أولياء، ويحتمل أن تكون (ما) في الموضعين والتّقدير: ولا يغني عنهم كسبُهم شيئًا ولا اتّخاذهم، فيكون المقصود ذمَّ فعلِهم ونفي إغنائِه عنهم.

مناسبة التّعبير بالموصول وصلتِه في ﴿مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾:

الكسب الّذي يورث صاحبه الاستهزاء بآيات الله وبالٌ على صاحبه

على القول بأنَّ ﴿مَّا﴾ اسم موصول، وهو الّذي استظهره البيضاويّ وغيره، يكون التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه في قولِه: ﴿مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا﴾ لغرض تحقير ما حصَّلوا من الأمور التي أفادتهم العزَّ الذي أورثهم الاستهزاء بآيات اللّه تعالى.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿كَسَبُواْ﴾:

لمّا كان الكسب يستعمل فيما يكون فيه اجتلاب نفعٍ أو تحصيل

(1) العكبري، التبيان: 2/ 1151، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 229، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 419، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.

حظٍّ[1] ناسب التّعبير بالكسب في الآية دون أن يقال: (ولا يغني عنهم ما عملوا) للإشارة إلى أنّهم كانوا بمثابة المتيقّنين أنَّ ما عندهم من المال والولد والجاه نافع لهم ويغنيهم من الضرِّ والأذى، فكان اقتران لفظ ﴿كَسَبُواْ﴾ بالإغناء هو المناسب في السّياق، فلكلِّ كلمةٍ في القرآن مع صاحبتِها مقام.

لكلِّ كلمةٍ في القرآن مع صاحبتِها مقام

دلالة التّعبير بالماضي ﴿كَسَبُواْ﴾:

عبّر بصيغة الماضي في قولِه: ﴿كَسَبُواْ﴾ لتقرير أنَّهم كانوا على يقين من أنَّ ما كسبوه يغنيهم عن اتّباع الحقّ ويدفع عنهم.

التّوجيه الإعرابيّ للفظ ﴿شَيۡـًٔا﴾:

يحتمل أن يكون لفظ ﴿شَيۡـًٔا﴾ مفعولًا به ثانيا لفعل ﴿يُغۡنِي﴾ ويحتمل أن يكون نائبًا عن المفعول المطلق،[2]، وتوجيه الإعراب على أنَّه مفعول به ثانٍ أن يكون المعنى على العموم، وبيانه أنَّه لمّا كان لفظ (شيء) أعمَّ الموجودات، وجاء ﴿شَيۡـًٔا﴾ في سياق النّفي في قولِه: ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا﴾ أفادَ أنَّ المعنى ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا من عذاب الله، ليدلَّ على نفي إغناء أيِّ شيءٍ عنهم ممّا كسبوه قليلًا أو كثيرا صغيرا أو كبيرًا، وعلى وجه كون ﴿شَيۡـًٔا﴾ نائبًا عن المفعول المطلق فالتّقدير: ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا من الإغناء، ليكون تنكير ﴿شَيۡـًٔا﴾ دالًا على التّحقير والتّقليل، بمعنى لا يدفع عنهم شيئًا من الإغناء وإن كان قليلًا.

أيُّ شيءٍ كسبوه لايغني عنهم من الله شيئًا

فائدة العطف:

أفاد الواو في قولِه: ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ عطف ﴿مَا ٱتَّخَذُواْ﴾ على ﴿مَّا كَسَبُواْ﴾ ليكون المعنى: ولا يغني عنهم ما

عدم إغناء كسبهم وما اتّخذوه أولياء من دون الله

(1) الراغب، المفردات: (كسب).

(2) المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 5/ 587، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.

اتّخذوا من دون الله شيئًا، ونكتة العطف بالواو اجتماع المعطوف والمعطوف عليه في نفي الإغناء.

نكتة تكرار (لا):

كرّر حرف النّفي (لا) في قولِه ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ﴾ للإيذان بنفي إغناء كلٍّ واحدٍ من المعطوف والمعطوف عليه على سبيل الجمع بينهما وعلى سبيل انفراد كلِّ واحدٍ منهما عن الآخر، بمعنى أنَّه لو اجتمع ما كسبوا ومعبوداتهم فلا تغني عنهم من العذاب شيئًا، كما أنَّه لا يغني كلُّ واحدٍ منهما في حالِ انفراده، ولو لم يكرّر حرف النّفي (لا) لاحتمل أن يكون نفي الإغناء على كلِّ حالٍ وأن يكون على سبيل اجتماعِهما، فلمّا تكرّر مع المعطوف أفاد نفي الإغناء على كلِّ حال[1]، أي سواء اجتمع المعطوفان أو انفردا، كما أنَّ توسيط حرف النّفي بين المعطوفين ينبئ أنَّ عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد، وهو أمر ظاهرٌ قطعاً، وإنّما جيء به على سبيل التّرقّي في النّفي بناءً على زعم الكافرين الفاسد في انتفاعِهم بمعبوداتِهم، حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم[2].

سواء أجتمع ما كسبه الأفّاكون ومعبوداتهم أم انفرد كلٌّ واحد عـن الآخـر فلا تغني عنهم من العذاب شيئًا

مناسبة التّعبير بالموصول وصلتِه في ﴿مَا ٱتَّخَذُواْ﴾:

عبّر بالموصول وصلتِه في قولِه: ﴿مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ للإيماء إلى سبب الحكم، بمعنى أنَّ سبب عدم إغناء معبوداتِهم عنهم واستحقاقهم العذاب هو أنَّهم اتّخذوا من دون الله أولياء.

مـن اتّـخـذ من دون أولـيـاء لم يـغـنـوا عـنـه من العذاب

نكتة التّعبير بـ: ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾:

عبّر بلفظ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ ليفيد شدّة تمسّكهم بمعبوداتِهم واجتهادِهم في حوزِها وتحصيلِها لتكون أولياء لهم من دون الله.

شـدّة حرصهم على معبوداتهم الباطلة

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 322، وابن القيم، بدائع الفوائد: 2/ 34.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 303.

الغرض من تقديم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

من يتّخذ الله تعالى وحده وليًّا سيغنيه من العذاب يوم القيامة

قدّم الجارّ والمجرور ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على المفعول به ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ تنبيهًا إلى الاعتناء ببيانِ سبب كفرِهم باللّه، وفي التّقديم معنى التّخصيص، ليفيد بطريق مفهوم المخالفة أنَّهم لو اتّخذوا اللّه تعالى وحده وليًّا لأغناهم من العذاب يوم القيامة.

فائدة ﴿مِن﴾:

بيان المبهم في الاسم الموصول

﴿مِن﴾ في قولِه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بيانيَّة، بمعنى أنَّها بيان للإبهام المضمّن في الاسم الموصول ﴿مَا﴾.

نكتة التّعبير بالظّرف ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾:

كلّ ما سوى الله هو دونَه وهو عبد له

عبّر بالظّرف ﴿دُونِ﴾ في قولِه ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ الّذي هو بمعنى من غير اللّه، ونكتة إيثار لفظ ﴿دُونِ﴾ الإشعار بأنَّ كلَّ ما سوى اللّه هو دونَه وأقلُّ من مرتبة الألوهيّة، ليفيد أنَّ كلَّ ما سوى اللّه هو عبد له سبحانه، وأنَّ الألوهيَّة للّه الواحد الأحد.

الغرض من الإضافة في قولِه ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾:

ألا كلُّ ماخلا اللهَ باطلُ

الإضافة في قولِه: ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ على معنى الاختصاص، لتفيد أنَّ كلَّ ما سوى اللّه لا يغني عنهم شيئًا ولايصلح أن يكون وليًّا يعبدُ.

الغرض من تنكير ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾:

كلُّ معبود سوى الله باطلٌ لأنَّه دون الله في الألوهيَّة

لمّا كان المراد من لفظ ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ المعبودات التي يشرك بها الكافرون في عبادتِهم وتشمل الأصنام وغيرَها كان الغرض من تنكير لفظ ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ التّحقير، بمعنى تحقير كلِّ معبود من دون اللّه تعالى.

فائدة الواو في ﴿وَلَهُمۡ﴾:

الواو في قولِه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ حاليَّة، أي: والحال مع ما ذكر لهم عذاب عظيم، ليفيد أنَّه مع إيعادِهم بجهنَّم وعدمِ إغناء ما كسبوه من الأموال والأولاد ولا وماعبدوه من دون اللّه فإنَّ لهم عذابًا

اجتماع أنواع العذاب يوم القيامة على الأفّاكين المستكبرين عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ

عظيمًا فيما وراءَهم من جهنَّم[1]، وتحتمل أن تكون الواو عاطفة، لتفيد عطف العذاب على العذاب مع الاختلاف في الوصف، بمعنى اجتماع أكثر من عذاب واحدٍ عليهم.

فائدة اللام:

اختصاص العذاب بهم لقبح فعلهم

اللّام في (لَهُم) للاختصاص، لتفيد اختصاص العذاب العظيم بهم، وهو اختصاص إضافيٌّ، فإنَّ العذاب العظيم قد يكون لغيرِهم أيضًا، وإنّما خصّه بهم لشناعة فعلِهم وقبح عملِهم.

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

الاهتمام في بيان استحقاقهم للعذاب

قدِّم المسند على المسند إليه في قولِه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ للاهتمام بالإخبار عن وقوع العذاب عليهم وحصولِه لهم بتعجيل ذكرهم، فكأنَّ العذاب العظيم لا يكون إلّا لهم وهو مختصٌّ بهم لعظيم جرمِهم، كما أنَّ في التّقديم بيانًا لاستحقاقِهم العذاب العظيم بسبب كفرِهم وشركِهم باللّه تعالى، كما أنّ في تقديم المسند رعايةً للفاصلة والمناسبةَ الصّوتيَّة لرؤوس الآي.

فائدة تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

تهويل العذاب لهَوْل كفرهم

تنكير المبتدأ في قولِه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ يفيد تفخيم العذاب وتعظيمه وقد اقترن به الوصف ﴿عَظِيمٌ﴾ الذي يدلُّ على هذا المعنى، فجاء تهويل العذاب لهَوْل كفرهم.

سر وصف العذاب بـ: ﴿عَظِيمٌ﴾:

العذاب العظيم هو لا يقدر قدرُه ولا يتحمّله أحدٌ

وصف العذاب بأنَّه ﴿عَظِيمٌ﴾ لإفادة أنَّ لهم عذابا غير العذاب المهين الّذي تقدَّم ذكره، أي: إنَّ لهم عذابًا آخر لايقدر قدرُه ولا يتحمّلونه، ولفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ مستعار لعدم التّحمّل، فإنَّ العظم من خواصِّ الأجسام وفيما عدا الأجسام هو مستعار[2]، وسرُّ وصف

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 69.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 419، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 334.

العذاب بالعظيم هو أنَّهم لمّا كانوا يعظّمون ما كسبوه في الدّنيا وما كانوا يتّخذونه من الأصنام وأنواع المعبودات ناسب وصف العذاب بالعظيم ليكون توفيةً لحقِّهم، وقد يقال: أخبر في الآية السّابقة أنَّ الكافرين لهم عذاب أليم، فما فائدة قولِه بعدَه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، والجواب هو أنَّ كون العذاب مهينًا يدلُّ على حصول الإهانة مع العذاب وأمّا كونه عظيمًا فيدلُّ على كونِه بالغًا أقصى الغايات في كونِه مؤلمًا بحيث لا يتحمّلونه[1]، فيكون مقابل كلِّ فعلٍ كانَ منهم نوعًا من العذابِ غير النَّوعِ الآخرِ، وبصفةٍ غيرِ الصِّفةِ الأخرى[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 672.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 218.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"